

كشف أكذوبة

ابن تيميّة وابن القيّم

في حديث لا تخلو الأرض من حجة

- محمد أبو سلطان -



موقع رؤى ومحاضرات الشيخ الحبيب

al-qatrah.net



alqatrah@gmail.com



@Sheikh_alHabib



syalhabib



+447999997975



+441753355355

تقديم

إنَّ حقيقةَ «الحُجة الإلهية» هي القطب الذي تدور عليه رحى الوجود، والقاعدة التي استقام بها بنيانُ الشريعة، إلا أنَّ أتباعَ المنهج البكري لم يفتؤوا يحاولون طمس هذه الحقيقة بتمويه الحقائق وتزييف الوقائع لم تتبع ورائهم!

وهذا الكتاب الذي بين أيديكم، هو تقريرٌ لمحاضرةٍ منبرية ألقاها مدير مكتب الشيخ الحبيب - محمد أبو سلطان - تحت عنوان: «**كشف أكذوبة ابن تيمية وابن القيم في حديث لا تخلو الأرض من حجة**»[1].

وقد أراد من خلالها أن يضع الباحث عن الحق أمام ميزان الدليل الجليّ، كاشفًا كذب ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم في ردِّ ما جاء في حديث

---

(1) ألقيت بتاريخ ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٤ م.

أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ومبينًا بالبرهان القاطع أنَّ الأرض لم ولن تخلو من حجةٍ لله قائمة، ظاهرةً كانت أم مستورة.

نضع هذا الكتاب بين أيديكم، راجين من الله عز وجل القبول، ومن مولانا صاحب الأمر صلوات الله عليه النظرة والرضا.

لا تخلو الأرض من حجة!

من العقائد المسلَّم بها عند الشيعة الإمامية الاعتقادُ بالأئمة الاثني عشر صلواتُ الله عليهم، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم مولانا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهي عقيدةٌ لا خلاف فيها لما تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله من أحاديث في كتب الفريقين من كون الأئمة من بعده اثنا عشر خليفة.

ومن المسلَّمات عند الشيعة أيضًا أن الأرض لا تخلو من حجةٍ قائمةٍ لله عزَّ وجل، وأنها لو خَلَت من الحجة ولو لحظة واحدة لساخت الأرض بأهلها. وقد وردت الأخبار والروايات في هذا المعنى باستفاضة.

ولذلك يقول شيخنا الصدوق رحمه الله في كتابه كمال الدين وإتمام النعمة: «هذه الأخبار كثيرة شائعة قد ذكرتها في هذا الكتاب، وهي شائعة في طبقات الشيعة وفِرَقها، لا ينكرها منهم منكر، ولا يجحدها

جاحد، ولا يتأولها متأول، وإن الأرض لا تخلو من إمامٍ حيٍّ معروف، إمّا ظاهرٍ مشهور، أو خاف مستور، ولم يزل إجماعهم عليه إلى زماننا هذا، فالإمامة لا تنقطع ، ولا يجوز انقطاعها، لأنها متصلة ما اتصل الليل والنهار»[1].

ومن جملة الأخبار الدالة على ذلك ما هو مرويٌّ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، في الخبر المشهور المستفيض في وصيته إلى صاحبه كميل بن زياد رحمه الله، وهو الوارد في نهج البلاغة وغيره.

قال كميل بن زياد: «أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام فأخرجني إلى الجبان، فلما أصحر تنفّس الصعداء، ثم قال: يا كميل، إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة؛ فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيق...».

---

(1) كمال الدين وتمام النعمة ج ٢ ص٣٩٥

إلى أن يقول عليه السلام: «كذلك يموت العلم بموت حامليه. اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجة، إمّا ظاهرًا مشهورًا، وإمّا خائفًا مغمورًا، لئلا تبطل حجج الله وبيناته... أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه»[1].

وهذه الرواية - كما ذكرنا - من الأحاديث المشهورة المستفيضة عندنا، بل وكذلك عند أهل الخلاف، حيث رووها واعتمدوا عليها وصحَّحوها!

فابن كثير يقول في «البداية والنهاية»: «وقد روى عن كميل جماعة كثيرة من التابعين، وله الأثر المشهور عن علي بن أبي طالب الذي أوله: القلوب أوعية فخيرها أوعاها، وهو طويل، وقد رواه جماعة من الحفاظ الثقاة، وفيه مواعظ وكلام حسن، رضي الله عن قائله»[2].

---

[1] نهج البلاغة ج ٤ ص٣٧.

[2] البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص٣٣٥.

وأما ابن عبد البر، فيقول في «جامع بيان العلم»: «هو حديث مشهور عند أهل العلم، يُستغنى عن الإسناد لشهرته عندهم»[1].

ولذلك نرى أن بعض علماء أهل الخلاف كانوا يروون هذا الحديث من دون إسناد، اعتمادًا على شهرته واستفاضته.

ومن أولئك الذين اعتمدوا على هذا الحديث شيخ الناصبة ابن تيمية الحرَّاني، حيث اعتمد على كلام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة رسالة الهلال، كما في «مجموع الفتاوى»، فقال في آخرها - بعد أن ذكر أن الشرائع الأخرى قد وقع فيها التحريف والتزوير - قال:

«إن هذا الدين محفوظ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]، ولا تزال فيه طائفة قائمة ظاهرة على الحق، فلم ينله ما نال غيره من الأديان من تحريف كتبها وتغيير شرائعها مطلقا، لِما يُنطق الله به القائمين بحجة الله وبيناته، الذين يحيون بكتاب الله الموتى، ويبّصرون

---

(1) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ص٩٨٤.

(2) سورة الحجر: ١٠.

بنوره أهل العمى، فإن الأرض لن تخلو من قائمٍ لله بحجة، لكي لا تبطل حجج الله وبيناته»[1].

فاعتمد ابن تيمية على كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وإن كان قد وجَّهه بتوجيه آخر، حيث لم يقصد به الأئمة الأطهار عليهم السلام بطبيعة الحال، بل حمله على العلماء!

أكذوبة ابن تيمية وابن القيم!

ورغم اعتماد ابن تيمية على هذا الحديث إلا أنه جاء في كتابٍ آخر له فاعترض على جزئيةٍ واردةٍ فيه، وقال إن هذه العبارة ليست من كلام أمير المؤمنين، وإنما هي من زيادات الرافضة! أي أنهم هم الذين وضعوها وأقحموها بالنَص!

---

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٢٥ ص١٣٠.

قال ابن تيمية في كتابه «جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية» بعد أن ذكر نص الحديث:

«هذا لفظ الحديث الذي رواه أهل العلم بذلك، وأما قولهم: إما ظاهر مشهور، وإما غائب مستور، فمن أكاذيب الرافضة، الذين يزعمون أنه أشار به إلى ما لا حقيقة له[1]، وليست هذه الزيادات في شيء من الروايات إلا في مثل «نهج البلاغة» الذي أكثره موضوع، وضعه واخترعه الشاعر المعروف بالرضي»[2].

وقد تابع ابن تيمية على هذا المسلك تلميذه ابن القيم الجوزية. فقد أورد هذا الحديث في كتابه «مفتاح دار السعادة»، ومع اعترافه بصحته واعتماده عليه؛ إلا أن هذه الزيادة - المزعومة - أزعجته فلم يقبلها، فقال بمقالةٍ شبيهة بمقالة أستاذه، إذ قال:

«وزاد الكذّابون في حديث علي: إمّا ظاهرًا مشهورًا، وإمّا خفيًّا مستورًا، وظنّوا أن ذلك دليلٌ لهم على القول بالمنتظر، ولكن هذه الزيادة

---

(1) وكأنه يُعرِّض بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

(2) جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية لابن تيمية ص٣٢.

من وضع بعض كذَّابيهم، والحديث مشهور عن علي، لم يقل أحدٌ عنه هذه المقالة إلا كذّاب»[1].

وكذلك علَّق محقّق الكتاب - وهو عبد الرحمن بن حسن بن قائد - في الهامش، فقال:

«لم أرَ هذه الزيادة إلا في كتب الرافضة، وأخرجها إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي في الغارات، والطوسي في أماليه، والمفيد في أماليه، بأسانيد مُظلمة، وهي في نهج البلاغة»[2].

---

(1) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص٤٠٥.

(2) نفس المصدر السابق.

تعليقات

ولنا على ما ذكره ابن تيمية وتلميذه ابن القيم تعليقات ثلاثة:

- التعليق الأول:

حين ادّعوا أن هذه الزيادة مكذوبة ولا صحة لها؛ هل قدّموا بيّنةً على دعواهم، أم أرسلوا الكلام إرسال المسلَّمات؟

إنهم لم يقدموا دليلا واحدا على مدَّعاهم. وكان يمكن قبول مثل هذا الادعاء لو أُقيمت له حجة علمية، أما أن يُرمى الكلام بأنه من «كذب الرافضة» ثم يمضي دون تقديم دليل، فهذا لا قيمة له علميا، كما لا يخفى!

- **التعليق الثاني:**

هل صحيح أن هذه الزيادة - المزعومة - من وضع الشريف الرضي كما ادعى ذلك ابن تيمية؟

لنأتي الآن لتحقيق هذه المسألة:

وللإجابة عن ذلك، نُحيلكم إلى مصادر أهل الخلاف أنفسهم. لكن قبل الشروع في ذلك، لا بد من التنبيه إلى معلومةٍ وهي أن الشريف الرضي تُوفّي سنة ٤٠٦ هـ، لأنه سيتبين فيما سيأتي أن هناك علماء متقدمون عليه قد أوردوا هذا الحديث بتمامه في مصنفاتهم، فلاحظ!

مصادر البكرية التي ذكرت الخطبة

لنبدأ الآن بذكر المصادر من كتب أهل الخلاف التي أوردت هذه هذه العبارة عن أمير المؤمنين عليه السلام:

١- المصدر الأول: كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، المتوفى سنة ٣٢٨ هـ، أي قبل الشريف الرضي بسنواتٍ طويلة.

«قال: حدثنا أيوب بن سليمان، قال: حدثنا عامر بن معاوية، عن أحمد بن عمران الأخنس، عن الوليد بن صالح الهاشمي، عن عبد الله بن عبد الرحمن الكوفي، عن أبي مخنف، عن كميل النخعي...».

وفيه: «ولا تخلو الأرض من قائمٍ بحجة الله، إمّا ظاهرًا مشهورًا، أو خائفًا مغمورًا، لئلا تبطل حجج الله وبيناته... يا كميل، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه»[1].

فهذا أول مصدر يثبت أن هذه العبارة مذكورة في كتب المخالفين، وليست في كتب الشيعة أو في نهج البلاغة فقط!

٢- المصدر الثاني: كتاب ديوان المعالي لأبي هلال العسكري، وهو من أعلام أهل الخلاف، المتوفى سنة ٣٩٥ هـ، أي قبل الشريف الرضي أيضا.

«قال أخبرنا أبو أحمد، حدثنا الهيثم بن أحمد بن الزيدني، حدثنا علي بن الحكيم الأذري، حدثنا الربيع بن عبد الله المدني، حدثنا عبد الله بن حسن، عن محمد، عن علي، عن آبائه، عن كميل بن زياد...».

---

(1) العقد الفريد ج ٢ ص٨٢.

وفيه: «ولا تخلو الأرض من قائمٍ بحجة، إمّا ظاهرًا، وإمّا خائفًا، لئلا تبطل حجة الله وتبيانه... يا كميل، أولئك أولياء الله من خلقه، وعماله في أرضه، والدعاة إلى دينه»[1].

٣- المصدر الثالث: تاريخ دمشق لابن عساكر، حيث أورده في الجزء الخمسين، بأسانيد كثيرة لهذا الخبر، وبألفاظٍ متقاربة. وبعض الطرق لم تذكر جملة: إما ظاهرًا مشهورًا، وإما غائبًا مستورًا.

روى ابن عساكر هذا الخبر بسندٍ آخر فقال: «أخبرنا أبو العز أحمد بن عبيد الله إذنًا ومناولة، وقرأ عليَّ إسناده: أنبأنا محمد بن الحسين، أنبأنا المعافى بن زكريا القاضي حدثنا محمد بن أحمد المقدمي حدثنا عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن الورّاق حدثنا ابن عائشة، حدثني أبي عن عمه عن كميل ح [2] وحدثني أبي حدثنا أحمد بن عبيد حدثنا المدائني والألفاظ في الروايتين مختلطة، قالا قال كميل بن زياد النخعي».

---

(1) ديوان المعالي ج ١ ص١٤٧.

(2) أَي حيلولة، فجمع بين الأسناد.

وفيه: «لا تخلو الأرض من قائم بحجة إما ظاهر مستور[1] وإما خائف مغمور، لأن لا تبطل حجج الله وبيناته فيكم... يا كميل، أولئك خلفاء الله في أرضه الدعاة إلى دينه»[2].

فهذا مصدر ثالث يبيّن بوضوح أن هذه العبارة ليست مقتصرة على كتب الشيعة كما زعم ابن تيمية وابن القيم، بل هي مروية في مصادرهم وبطرقهم وأسانيدهم!

وابن عساكر - مع كونه متأخرًا عن الشريف الرضي، إذ توفي سنة ٥٧١ هـ - إلا أنه نقل هذا الخبر عن المعافى بن زكريا القاضي، وهو متقدم على الشريف الرضي.

فمن هو هذا المعافى بن زكريا؟

إذا رجعتم إلى سير أعلام النبلاء للذهبي، تجدون أنه قال في ترجمته:

---

(1) الصحيح : مشهور.

(2) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٠ ص٢٥٤.

«المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد النهرواني، العلامة، الفقيه، الحافظ، القاضي، المتفنن، عالِمِ عصره. قال الخطيب: كان من أعلم الناس في وقته بالفقه، والنحو، واللغة، وأصناف الأدب»[1].

٤- المصدر الرابع : المعافى بن زكريا قد توفي سنة ٣٩٠ هـ، وهو صاحب كتاب «الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي». وقد أخرج فيه هذا الحديث بالإسناد نفسه الذي ذكره ابن عساكر.

وفيه: «لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجة، إمّا ظاهرٌ مشهورٌ، وإمّا خائفٌ مغمورٌ، لِئلا تبطل حجج الله وبيناته فيكم».

فهذا مصدر رابع من مصادر أهل الخلاف أنفسهم[2].

فانظروا كيف يكذبون هذا الكذب الواضح ، لأنهم يعلمون جيدًا أن هذه العبارة لا تنطبق إلا على الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم، فنسبوا الكذب إلى الرافضة حتى يخفوا الحقيقة عن أتباعهم ولا يتولونهم!

---

(1) سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص٥٤٤.

(2) وممن ذكر هذه العبارة اليعقوبي (ت٢٩٢) في تاريخه ج ٢ ص١٩٤ وهو متقدم على الشريف الرضي أيضا.

لكن مهما حاولوا من الكذب أو التأويل وصرف المعنى إلى غيرهم - كما فعلوا حين زعموا إن المراد بالوصف هم العلماء - فإن النص لا يسعفهم، لما جاء فيه «أولئك خلفاء الله في أرضه»، ولا يمكن لأحد أن يدعي أن العلماء هم خلفاء الله في أرضه! إلا إذا أريد بهم الأئمة الاثني عشر، ولا سيما مع الأحاديث المتواترة عند الفريقين في قول النبي صلى الله عليه وآله: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش»[1].

لذلك نقول لأبناء الطائفة البكرية أن الواجب عليهم أن يحققوا في هذه المسائل بأنفسهم، وأن لا يكتفوا بما قاله ابن تيمية أو ابن القيم أو غيرهما، فإنهم دجالون، يريدون إبعادكم عن أئمة الهدى صلوات الله عليهم.

٥- المصدر الخامس: التذكرة الحمدونية لابن حمدون.

---

(1) ورد بعدّة ألفاظ عند أهل الخلاف، أخرجه البخاري (ج ٦ ص٢٦٤٠) بلفظ: إثنا عشر أميرا. وفي صحيح مسلم ج ٣ ص١٤٥٢: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم إثنا عشر خليفة... كلهم من قريش». وفي صحيح مسلم ج ٣ ص١٤٥٣: «لا يزال هذا الأمر عزيزًا إلى إثنا عشر خليفة». وفي سنن الترمذي ج ٤ ص٨٠ بسند صحيح: «يكون من بعدي إثنا عشر أميرا». وفي مسند أحمد ج ٣٤ ص٤٣٩ «يكون بعدي إثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

وفيه: «لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجة، إمّا ظاهرًا مشهورًا، وإمّا خائفًا مغمورًا، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه»[1].

ورغم أن ابن حمدون متأخر عن الشريف الرضي (توفي سنة ٥٦٢ هـ)، إلا أن ذلك لا يضر؛ لأنهم يدّعون أن هذه زيادة رافضية!

فنقول لهم:

إذا كانت هذه الزيادة - كما تزعمون - من وضع الرافضة، فلماذا لم يتنبه لها ابن عبد ربه، أو ابن عساكر، أو القاضي المعافى بن زكريا، أو غيرهم من أعلامكم؟ خصوصًا وأن أسانيد هذه الروايات تنتهي إليكم لا إلى الشيعة، فلا مجال أصلًا لهذا الاحتمال ولا دليل عليه كما تبين!

وقد ثبت - بحمد الله تعالى - أن ادعاء ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كذبٌ وافتراء على الشيعة، وعلى الشريف الرضي على وجه الخصوص!

---

(1) التذكرة الحمدونية ج ١ ص٦٧.

- **التعليق الثالث:**

هل عقيدة «عدم خلوّ الأرض من حجة» عقيدة مختصة بالشيعة فقط، أم هي مشتركة؟

الجواب:

إنها عقيدة مشتركة بيننا وبين المخالفين، إلا أن الخلاف في تعيين مصداق هؤلاء الحجج .

فنحن - الرافضة - نذهب إلى أن الحجج هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وأن الأرض لم تخلُ من حجة منذ آدم عليه السلام إلى إمام زماننا المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. وأن الحجة قد يكون ظاهرًا مشهورًا، أو خائفًا مغمورًا.

وهذه عقيدة مسلَّم بها عندنا، وتؤكدها رواياتنا الشريفة التي منها: «**لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها**»[1]. فهم عليهم السلام أمانٌ لأهل الأرض.

أما أهل الخلاف فقد ذهبوا إلى مذاهب أخرى، فقالوا إن المراد بالحجة هم العلماء!

فلو رجعتم إلى كتبهم الأصولية والعقائدية والفقهية، ككتاب «جامع المسائل والقواعد في علم الأصول والمقاصد» لعبد الفتاح مصيلحي، ستجدونه يتحدث عن مسألة الاجتهاد، ويتعرض لسؤالٍ مهم، وهو:

«هل يجوز خلوُّ عصرٍ من مجتهد؟»

قال ابن مفلح [2]: «**لا يجوز خلو العصر عن مجتهد عند أصحابنا وطوائف. وقال بعض أصحابنا: ذكره أكثر من تكلم في الأصول في مسائل**

---

(1) بصائر الدرجات للصفار ج ٢ ص٨٧٢، علل الشرائع للصدوق ج ١ ص١٥٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ج ١ ص٤٠٦، كمال الدين للصدوق ج ١ ص٣٠١.

(2) شمس الدين ابن مفلح الحنبلي، من أعلام الحنابلة.

الإجماع ، ولم يذكر ابن عقيل خلافه إلا عن بعض المحدّثين. وقالت الحنابلة: لا يجوز خلو العصر عن مجتهد، وبه جزم الأستاذ أبو إسحاق[1] والزبيري[2]، فقال الأستاذ: وتحت قول الفقهاء: لا يخلي الله زمانًا من قائم بحجّة، أمر عظيم، وكأن الله تعالى ألهمهم ذلك، ومعناه: أن الله تعالى لو خلّى زمانًا من قائمٍ بحجّة زال التكليف، إذ التكليف لا يثبت إلّا بالحجة الظاهرة، وإذا زال التكليف بطلت الشريعة، وقال الزبيري: لن تخلو الأرض من قائمٍ لله بالحجة في كل وقت ودهر وزمان، ولكن ذلك قليل في كثير. فأما أن يكون غير موجود - كما قال الخصم - فليس بصواب؛ لأنه لو عُدم الفقهاء لم تُقم الفرائض كلها، ولو عُطلت الفرائض كلها لحلّت النقمة بذلك في الخلق، كما جاء في الخبر: لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ونحن نعوذ بالله أن نُؤخَّر مع الأشرار قال السيوطي: لا يجوز خلو الزمان عن مجتهد: ذهب الحنابلة إلى أنه لا يجوز خلو الزمان عن مجتهد، مطلقًا أو مقيّدًا، لقوله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله». قالوا: ولأن الاجتهاد فرض كفاية، فيستلزم انتفاءه

---

(1) الإسفراييني، وهو من أعلام الشافعية.

(2) الزبير بن أحمد الزبيري، من أعلام الشافعية، وينتهي نسبه إلى الزبير بن العوّام.

اتفاق المسلمين على الباطل. واختار الشيخ ابن دقيق العيد أنه لا يجوز خلوه عن مجتهد، ما لم يتداعى الزمان بنزول القواعد، بأن تأتي أشراط الساعة الكبرى. كذا نقله عنه ابن السبكي في جمع الجوامع . وهذا الكلام أخذه من خطبة شرح الإلمام، حيث قال فيها: «والأرض لا تخلو من قائمٍ لله بالحجة، والأمة الشريفة لا بد فيها من سالكٍ إلى الحق على واضح المحجة، إلى أن يأتي أمر الله من أشراط الساعة الكبرى، وتتابع بعده ما لا يبقى معه إلا قدوم الآخرة». وهذا المعنى استنبطه الشيخ تقي الدين[1] من الحديث المذكور، ومن قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «لن تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجة، لكي لا تبطل حجج الله وبيناته»»[2].

فكما قلنا؛ أن أهل الخلاف أنفسهم اعتمدوا على مقالة أمير المؤمنين عليه السلام ، وبنوا عليها اعتقادهم بعدم جواز خلو عصرٍ من مجتهد.

---

(1) ابن دقيق.

(2) جامع المسائل والقواعد في علم الأصول والمقاصد لعبدالفتاح مصيلحي ج ٤ ص٦٤.

فالسؤال هنا:

كيف تجوزون - يا أهل الخلاف - أن تشنِّعوا على الشيعة بقولهم إن الأرض لا تخلو من حجة، وأن هذه الحجة هو الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ وأنتم بأنفسكم تقررون أنه: لا يجوز خلو عصر من مجتهد؟! فمن بابٍ أولى لا يجوز أن تخلو الأرض من إمامٍ معصومٍ متصلٍ بالسماء، لا مجرد مجتهدٍ من المجتهدين! فأين مقالة الشيعة من مقالتكم؟

إنهم في الواقع يريدون أن يقولوا: لا وجود للإمام المهدي عليه السلام، لأنه غير ظاهر، ولهذا شنّع ابن تيمية وابن القيم على عبارة: «إمّا ظاهرًا مشهورًا، و إمّا خائفًا مغمورًا» وقالوا إنها من كذب الرافضة!

وعليه، فإن عقيدة الشيعة في أن الأرض لا تخلو من حجة هي العقيدة الأتمّ والأكمل، حتى و إن كان الإمام المهدي عليه السلام غائبًا مستورًا؛ لأن غيبته لا تعني عدم وجوده، ولا عدم رعايته لشؤون الدين والعباد، كما نصّت عليه رواياتنا.

البدائل!

في واقع الأمر هم يريدون وضع بدائل عن الإمام المهدي عليه السلام كابن تيمية، وابن القيم، وأحمد بن حنبل، ومالك بن أنس، ومن على شاكلتهم.

فهذا البكري الجاهل تراه يشنِّع على الشيعة لأنهم يقولون إن حجة الله على خلقه في هذا الزمان هو الإمام المهدي عليه السلام، وما يدري المسكين أن في كتبه جعلوا من أمثال مالك بن أنس وأضرابه حججا لله على خلقه!

وقد كان أتباع كل مذهب من المذاهب المبتدعة يزايد على الآخر في اختلاق ووضع الفضائل والمناقب إلى أئمتهم!

- المالكية:

فلو رجعتم إلى «شرح الزرقاني على موطأ مالك» للزرقاني تجدونه ينقل قول يحيى بن معين حيث قال: «**كان مالك من حجج الله على خلقه، إمامًا من أئمة المسلمين، مجمعًا على فضله**»![1].

وأيضًا إذا رجعتم إلى كتاب «مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار» للعدوي الحمزاوي المالكي يقول: «**وُجد مكتوبًا على فخذه بقلم القدرة: مالك حجة الله في أرضه**»![2].

وما نُقل في «مقدمة متن العشماوية في الفقه المالكي» لعبد البر العشماوي - حيث جاء فيه: «**مكتوب على فخذ مالك بالشَّعر، بقلم القدرة: مالك حجة الله في أرضه**»![3].

---

(1) شرح الزرقاني على موطأ مالك ج ١ ص٥٥.

(2) مشارق الأنوار للعدوي ص٢٨٨.

(3) مقدمة متن العشماوية.

- الحنابلة:

أما الحنابلة فقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك!

فلو رجعتم إلى سير أعلام النبلاء للذهبي، تجدونه ينقل عن إسحاق بن راهويه - وهو من أعلام أهل الخلاف - قوله: «**أحمد بن حنبل حجة بين الله وبين خلقه... لولا أحمد وبذل نفسه، لذهب الإسلام**»[1].

وعن ابن المديني: «**أحمد اليوم حجة الله على خلقه**»[2].

أي أن الإسلام - بحسب هذا القول - كان سيذهب لولا تضحية أحمد بن حنبل!

لكن حين تقول الشيعة إن الإمام الحسين صلوات الله عليه قدّم نفسه للدين، ولولا تضحيته لما بقي الإسلام تجد المخالفين يشنِّعون عليهم وينسبونهم إلى الغلو! في حين هم أنفسهم يذكرون مثل ذلك في أحمد بن

---

(1) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١١ ص١٩٦.

(2) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١١ ص٢٠٠.

حنبل الذي لا يساوي تراب نعل الإمام الحسين عليه السلام، ومع ذلك لا يجدون أي غضاضة في وصفه بأوصاف لا تليق إلا بأولياء الله عز وجل!

أليس العلماء هم حجج الله؟

إن مقالة أهل الخلاف القائلة بأن العلماء هم حجج الله، ليست مقالةً متينة؛ لأن هؤلاء العلماء يختلفون، وآراؤهم اجتهادية.

وأما نحن الشيعة إذا قلنا إن الإمام حجة، فإنما نعني أنه قيّمٌ على القرآن والسنة، مرتبط بالسماء، فيبيّن الصحيح من السقيم، ويُرجع إليه عند اختلاف الآراء[1].

---

(1) سورة النساء: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

ولا يمكن أن يكون المجتهد - عندنا - حجة لله استقلالا عن الأئمة الأطهار عليهم السلام دون تفويض منهم، فقد ورد في الرواية الشريفة عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: «**وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم**»(1).

فهم حجج على الناس من خلال تفويض من الأئمة عليهم السلام لهم، لا أنهم حجج الله مباشرة بلا واسطة، ولا أنهم مرتبطون بالسماء، كما لا يخفى!

فلا يُقال: إن العلماء حجج الله بلا حجة عليهم، ولهذا ورد في الروايات الشريفة ما يوضح هذا المعنى؛ أن القرآن الكريم حجّة إلا أنه لابد من وجود قيِّم له يعرف محكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ونحو ذلك.

فالقرآن اليوم يحتج به الجميع ، وكل مذهب يدّعي أنه على منهج القرآن، فمن الذي يفصل؟ ومن الذي يبيّن مراد الله الحقيقي؟

لا يمكن لأي أحد - بطبيعة الحال - أن يستقل ويقول: أنا الحجة.

---

(1) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص٢٨٣.

روى ثقة الإسلام الكليني رحمه الله في الكافي الشريف، عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إن الله أجلّ وأكرم من أن يُعرف بخلقه، بل الخلق يُعرفون بالله. قال: صدقت. قلت: إن من عرف أن له ربًا، فقد ينبغي له أن يعرف أن لذلك الرب رضا وسخطًا، وأنه لا يُعرف رضاه وسخطه إلا بوحي أو رسول، فمن لم يأته الوحي، فينبغي له أن يطلب الرسل، فإذا لقيهم عرف أنهم الحجة، وأن لهم الطاعة المفترضة، فقلت للناس: أليس تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى. قلت: فحين مضى صلى الله عليه وآله من كان الحجة؟ قالوا: القرآن. فنظرت في القرآن، فإذا هو يخاصم به المرجئ، والقدري، والزنديق الذي لا يؤمن به، حتى يغلب الرجال بخصومته. فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيّم، فما قال فيه من شيء كان حقًا. فقلت لهم: من قيّم القرآن؟ قالوا: ابن مسعود قد كان يعلم، وعمر يعلم، وحذيفة يعلم. قلت: كله؟ قالوا: لا. فلم أجد أحدًا يُقال إنه يعلم القرآن كله إلا عليًا صلوات الله عليه. وإذا كان الشيء بين القوم، فقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: أنا أدري، فأشهد أن عليًا عليه السلام كان قيّم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول

الله ﷺ ، وأن ما قاله في القرآن فهو حق. فقال: رحمك الله. فقلت: إن عليًا عليه السلام لم يذهب حتى ترك حجة من بعده، كما ترك رسول الله ﷺ ، وأن الحجة بعد علي الحسن بن علي، وأشهد على الحسن أنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك أبوه وجده، وأن الحجة بعد الحسن الحسين، وكانت طاعته مفترضة. فقال: رحمك الله. فقبّلت رأسه، وقلت: وأُشهد على الحسين عليه السلام أنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده علي بن الحسين، وكانت طاعته مفترضة. فقال: رحمك الله. فقبّلت رأسه، وقلت وأشهد على علي بن الحسين أنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده محمد بن علي أبا جعفر، وكانت طاعته مفترضة. فقال: رحمك الله. قلت: أعطني رأسك حتى أقبله. فضحك. قلت: أصلحك الله، قد علمت أن أباك لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك أبوه، وأشهد بالله أنك أنت الحجة، وأن طاعتك مفترضة. فقال: كفّ رحمك الله. قلت: أعطني رأسك أقبله. فقبلت رأسه، فضحك وقال: سلني عما شئت، فلا أنكرك بعد اليوم أبدًا»[1].

---

(1) الكافي ج ١ ص١٨٨.

إن هذه الرواية تبيّن لنا بوضوح أن القيّم على القرآن هم الأئمة الأطهار عليهم السلام الذين قرنهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن في الحديث الصحيح المعروف بحديث الثقلين حين قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

هل غيبة الإمام المهدي عليه السلام تنافي اللطف الإلهي؟!

بعد الذي تقدم وانكشاف كذب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية، بقي إشكال طرحه الأخير بقوله أن غيبة الإمام المهدي عليه السلام تنافي اللطف الإلهي!

قال ابن القيم: «وحجج الله لا تقوم بخفي مستور لا يقع العالم له على خبر، ولا ينتفعون به في شيء أصلا؛ فلا جاهل يتعلم منه، ولا ضال يهتدي به، ولا خائف يأمن به، ولا ذليل يتعزز به، فأي حجة لله قامت بمن لا يرى له شخص، ولا يسمع منه كلمة، ولا يعلم له مكان؟! ولا سيما على

أصول القائلين به، فإن الذي دعاهم إلى ذلك أنهم قالوا: لا بد منه في اللطف بالمكلفين وانقطاع حجتهم عن الله. فيا لله العجب! أي لطف حصل بهذا المعدوم[1]، لا المعصوم؟! وأي حجة أثبتم للخلق على ربهم بأصلكم الباطل؟! فإن هذا المعدوم إذا لم يكن لهم سبيل قط إلى لقائه والاهتداء به، فهل في تكليف ما لا يطاق أبلغ من هذا؟! وهل في العذر والحجة أبلغ من هذا؟! فالذي فررتم منه وقعتم في شر منه، وكنتم في ذلك كما قيل:

المستجير بعمرو عند كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار

ولكن أبى الله إلا أن يفضح من تنقص بالصحابة الأخيار وبسادة هذه الأمة، وأن يري الناس عورته ويغريه بكشفها. ونعوذ بالله من الخذلان.

ولقد بطلت حجج استودعها مثل هذا الغائب، وضاعت أعظم ضياع ، فأنتم أبطلتم حجج الله من حيث زعمتم حفظها! وهذا تصريح من أمير

---

(1) هذه جسارة وقلة أدب من ابن الحرام في حق الإمام المهدي عليه السلام ، وناقل الكفر ليس بكافر!

المؤمنين رضي الله عنه بأن حامل حجج الله لابد أن يكون في الأرض، بحيث يؤديها عن الله، ويبلغها إلى عباده، مثله رضي الله عنه، ومثل إخوانه من الخلفاء الراشدين ومن اتبعهم إلى يوم القيامة»[1].

وها أنتم تجدون ركاكة ابن القيم وطرحه التي هي أشبه ما تكون بخطب يوم الجمعة على المنابر الخالية من الرصانة والقوة العلمية.

وللإجابة عن أصل هذه الشبهة وهي هل أن غيبة الإمام المهدي عليه السلام تنافي اللطف الإلهي أم لا، ننقل لكم ما قاله علم الأعلام الشيخ المفيد رحمه الله في رده على هذه الشبهة:

قال الشيخ المفيد في النكت الاعتقادية: «إن قيل: قد تقدم أن الإمامة لطف واللطف واجب على الله تعالى فإذا كان الإمام مستترا كان الله تعالى مخلا بالواجب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؟

فالجواب: اللطف الواجب على الله تعالى في الإمام هو نصبه وتكليفه بالإمامة، والله تعالى قد فعل ذلك فلم يكن مخلا بالواجب وإنما الاخلال

---

(1) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص٤٠٥.

بالواجب من قبل الرعية فإنهم يجب عليهم أن يتابعوه ويمتثلوا أوامره ونواهيه ويمكنوه من أنفسهم. فحيث لم يفعلوا ذلك كانوا مخلين بالواجب فهلاكهم من قبل أنفسهم»[1].

فتبين من ذلك أن اللطف الإلهي متحقق في وجوده عليه السلام غير أن الملامة في غيبته تقع على الخلق الذين رفضوه، وليس على الله عز وجل!

ولا منافاة بين غيبته صلوات الله عليه ورعايته لشؤون شيعته ومراعاتهم كما في رسالته للشيخ المفيد: «إنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء فاتقوا الله جل جلاله»[2].

كما نزوره صلوات الله عليه في زيارة آل يس: «السلام عليك حين تقرأ وتبين».

إلى غير ذلك من آثار تبين تدخل الإمام المهدي عليه السلام ورعايته للشيعة وغير الشيعة.

---

(1) النكت الاعتقادية للشيخ المفيد ص٤٥.

(2) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص٣٢٣.

ولقد غاب كثير من الأنبياء عليهم السلام عن أقوامهم، كالنبي إبراهيم وموسى ويونس ويوسف عليهم السلام ، ولا قائل بأن غيبتهم خلاف اللطف الإلهي، وهكذا إمامنا الموعود عليه السلام له سنة من سنن هؤلاء الأنبياء عليهم السلام كما ورد عنهم عليهم السلام في روايات شتى منها ما أورده الشيخ الصدوق رحمه الله:

عن محمد بن مسلم الثقفي الطحَّان قال: «دخلت على أبي جعفر محمد بن عليٍّ الباقر عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن القائم من آل محمّد صلّى عليه وعليهم، فقال لي مبتدئاً: «يا محمّد بن مسلم، إنَّ في القائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله شبهاً من خمسة من الرسل: يونس بن متّى، ويوسف بن يعقوب، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلوات الله عليهم. فأمَّا شبهه من يونس بن متّى عليه السلام ، فرجوعه من غيبته وهو شابٌّ بعد كبر السنِّ. وأمَّا شبهه من يوسف بن يعقوب عليه السلام ، فالغيبة من خاصَّته وعامَّته، واختفاؤه من إخوته وإشكال أمره على أبيه يعقوب عليه السلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته. وأمَّا شبهه من موسى عليه السلام ، فدوام خوفه، وطول غيبته، وخفاء ولادته، وتعب شيعته من بعده ممَّا لقوا من الأذى والهوان إلى أن أذن الله عزَّ وجلَّ في ظهوره ونصره وأيَّده على عدوِّه. وأمَّا شبهه من عيسى عليه السلام ،

فاختلاف من اختلف فيه حتَّى قالت طائفة منهم: ما وُلِدَ، وقالت طائفة: مات، وقالت طائفة: قُتِلَ وصُلِبَ. وأمَّا شبهه من جدِّه المصطفى صلى الله عليه وآله ، فخروجه بالسيف، وقتله أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله ، والجبَّارين والطواغيت، وأنَّه يُنصَر بالسيف والرعب، وأنَّه لا ترد له راية»[1].

وصية أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد رحمه الله

إتماما للفائدة نضع بين أيديكم وصية أمير المؤمنين عليه السلام لكميل ابن زياد رضوان الله تعالى عليه كاملة كما وردت في نهج البلاغة.

قَالَ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ: «أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَأَخْرَجَنِي إِلَى الْجَبَّانِ فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ، ثُمَّ قَالَ يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ: إِنَّ هَذِه الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا - فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ - النَّاسُ ثَلَاثَةٌ فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ومُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وهَمَجٌ رَعَاعٌ

(1) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ص٣٢٧.

أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ولَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ، يَا كُمَيْلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، والْمَالُ تَنْقُصُه النَّفَقَةُ والْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الإِنْفَاقِ، وصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِه. يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِه، بِه يَكْسِبُ الإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِه، وجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِه، والْعِلْمُ حَاكِمٌ والْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْه. يَا كُمَيْلُ هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وهُمْ أَحْيَاءٌ، والْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ، هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً وأَشَارَ بِيَدِه إِلَى صَدْرِه لَوْ أَصَبْتُ لَه حَمَلَةً، بَلَى أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْه، مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، ومُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللَّه عَلَى عِبَادِه وبِحُجَجِه عَلَى أَوْلِيَائِه، أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَه فِي أَحْنَائِه، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِه لأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، أَلَا لَا ذَا ولَا ذَاكَ، أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ والِادِّخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا الأَنْعَامُ السَّائِمَةُ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيه، اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّه بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّه وبَيِّنَاتُه. وكَمْ ذَا وأَيْنَ أُولَئِكَ أُولَئِكَ واللَّه الأَقَلُّونَ عَدَداً، والأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّه قَدْراً، يَحْفَظُ اللَّه بِهِمْ حُجَجَه وبَيِّنَاتِه

حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، ويَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ واسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَه الْمُتْرَفُونَ، وأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْه الْجَاهِلُونَ، وصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الأَعْلَى، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّه فِي أَرْضِه والدُّعَاةُ إِلَى دِينِه، آه آه شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ، انْصَرِفْ يَا كُمَيْلُ إِذَا شِئْتَ»[1].

والحمد لله

(1) نهج البلاغة ص٤٩٥.

هذا الكتاب الذي بين أيديكم، هو تقريرٌ لمحاضرةٍ منبرية بعنوان (كشف أكذوبة ابن تيمية وابن القيم في حديث لا تخلو الأرض من حجة).

وقد أراد مقدمها من خلالها أن يضع الباحث عن الحق أمام ميزان الدليل الجليّ، كاشفًا كذب ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم في ردِّ ما جاء في حديث أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ومبينًا بالبرهان القاطع أنَّ الأرض لم ولن تخلو من حجةٍ لله قائمة، ظاهرةً كانت أم مستورة!

